مقدمة:

الإنسان كائن اجتماعي يتفاعل مع بيئته بإيجابية يغير ويعدل فيها وتعكس هذه البيئة العديد من التغيرات على الإنسان تحت مبدأ التكيف وفي عصر أصبح فيه العالم قرية صغيرة وتجاوز الحدود الزمانية والمكانية والثقافية وفي وقت أتيحت فيه المعرفة بشتى أنواعها ومواجهة ثورة معرفية رقمية هائلة أصبح الطلاب أمام تحدي كبير جداً فكيف يتفاعل وماهي مصادر المعرفة وطرق اكتسابها وماهي مهددات الأمن على مستوى الفكر والتصورات الداخلية للطالب حول كثير من القضايا التي تلامس أمنه الفكري وتقف أمام نمو وازدهار رؤية الوطن الطموحة.

يتناول الباحث عدد من المتغيرات في الدراسة الحالية متمثلة في الذكاء التفاعلي الذي عرفه الباحث بأنه القدرة على التواصل الفعال والتأثير على الآخرين والتأثر بهم ومعرفة رغباتهم مما يكسب الأنسان خبرة وتغيير في سلوكه وأفكاره لتحقيق أهدافه والنجاح. والذكاء التفاعلي مفهوم حديث وشكل جديد من أشكال الذكاءات الحديثة يناسب هذا العصر التفاعلي الرقمي حيث فرق الباحث بين مصطلح الذكاء التفاعلي والاجتماعي لغوياً وعبر التاريخ السيكولوجي للنظريات والدراسات المفسرة للذكاء التفاعلي والذكاء الاجتماعي فقد فرقت معاجم اللغة العربية بين مفهوم الذكاء الاجتماعي والذكاء التفاعلي وجاء في معجم تهذيب اللغة "التفاعل والافتعال لا يكاد يكون إلا باشتراك الفاعلين فيه مثل التخاصم والاختصام" (مرعب، ٢٠٠١: ١٠٥)، وفي جمهرة اللغة "الاجتماعي مأخوذ من اجتمع وجمع وهو خلاف التفريق جمعت الشيء أجمعه جمعاً إذا ضممت بعضه إلى بعض واجتمع القوم اجتماعاً لفرح أو خصومه" (بعلبكي، ١٩٨٧: ٤٨٣)، وهذا ما يفرق بين مفهوم الذكاء التفاعلي الذي يؤكد على عملية الاشتراك والتأثير والتأثر بينما مفهوم الذكاء الاجتماعي الذي يشير إلى الاجتماع دون حالة من التأثير والذكاء الاجتماعي يتطلب التواجد

والمزامنة وهذا يخالف ما يحدث في الفضاء السيبراني من تفاعل بدون اجتماع الأفراد وبذلك يرى الباحث أن مفهوم الذكاء التفاعلي يشير بشكل واضح إلى حالة التأثير والتأثر بين الفرد والآخرين.

إن المشاركة والتفاعل المتبادل لدى الطلاب مع بعضهم أو مع معلميهم أو بشكل عام مع جميع عناصر البيئة التعليمية المادية والاجتماعية والافتراضية من حولهم هو مصدر ورافد للمعرفة يتشكل هذا وفق عامل التوازن الذي أشار له بياجيه من خلال التفاعل بين مصادر العالم الاجتماعي والعالم المادي والعامل الوراثي (النضج) فالطالب نشط أثناء تفاعله ويبحث عن المعلومة وينظمها بهدف الوصول إلى إجابات معينة بغية تحقيق حالة التوازن العقلي(الزغول، الهنداوي، ٢٠١٩). وهنا يبرز دور الذكاء التفاعلي والذي أطلق عليه جاردنر ذكاء العلاقات مع الآخرين في نجاح عملية التعلم والتعليم وسرعة اكتساب المعرفة (طه، ٢٠٠٦).

وترتبط عملية التفاعل بتشكل المعتقدات المعرفية لدى الطلاب وهذا ما تفسره وتوضحه النظرية المعرفية الاجتماعية فالمعتقدات المعرفية لدى الطالب تتشكل من خلال عملية التفاعل الاجتماعي والنمذجة وتتكون المعرفة من خلال عملية التفاعل الاجتماعي التي تتيح للطالب فرصة للتعلم من خلال تفاعل الطالب مع المعلم أثناء الدرس أو مع زملائه عند ملاحظته لسلوكهم وتفوقهم وتقليدهم وبالتالي توفير فرص للتعلم نشطة تتمحور حول الطالب وتقوده نحو التعلم (البدراني،٢٠١٨).

وتعرف المعتقدات المعرفية بأنها "منظومه متكاملة تتكون من الأفكار والخبرات والتصورات والتي يكونها الافراد حول المعرفة وتنظيمها وثباتها وسرعة اكتسابها والتحكم فيها (Wood & Kardash, 2002: 210)" اختلف العلماء في عدد عوامل المعتقدات المعرفية وثنائيتها وهل هي

مستقلة المكونات أو متصلة وكذلك علاقتها بالعمليات المعرفية بل أن بعض العلماء أوضح أن لمعتقدات المعرفية هي العلميات المعرفية بحد ذاتها.

وتؤثر المعتقدات المعرفية في عملية التعلم والتعليم بشكل مباشر وأن الأفراد ذوو التفكير المعقد يعتقدون بأن هنالك كماً هائلاً من المعرفة قابل للتطور ولم تكتشف بعد وأن هنالك القليل من المعرفة تتصف بالثبات والأفراد ذوو التفكير البسيط يعتقدون أن المعرفة فيها قدر كبير من الثبات، وأن هنالك معلومات قليلة قابلة للتغيير (Schommer & Walker,1995) ولهذا من المهم أن يكون لدى الطلاب جانب من الوعي بمعتقداتهم المعرفية للسير بهم نحو الإثراء المعرفي وأن يكونوا ناقدين للمعلومة وغير متلقين وسلبيين مما يحميهم من الأفكار المشبوهة والمتطرفة والمتصلبة والتي يتأثر بها مستوى الأمن الفكري حيث أن من يمتلك المعرفة هو المؤهل للقيادة والانسان لابد أن يكون مصدر للمعرفة وليس مستهلك لها (الخزاعي،٢٠١٦).

إن المعتقدات المعرفية تؤثر على المظاهر المختلفة للتعلم فالطلاب لديهم أفكار مختلفة حول مجتمعهم وثقافتهم وعاداتهم قد تبقى راسخة لا تتغير مهما تقدم الطالب في المرحلة العمرية لذلك تبقى المؤسسات التربوية مصدراً لتحرير فكر الطالب من المعتقدات المتصلبة والخاطئة وميدان لتعزيز الأمن الفكري حيث تعرفه خليوي بأنه " سلامة فكر الطالب من الأفكار الخاطئة والانحرافات الفكرية وشعوره بالانتماء والوطنية ويتمثل في القيم الإنسانية كتقبل الآخر وعدم الشعور بالتهديد والإقصاء (خليوي،٢٠١٨: ٣٠٨).

ويظهر دور المدرسة الثانوية كمصنع للقوى الشبابية ومحط اهتمام المختصين والعاملين في مجال علم النفس حيث تتشكل لدى طلبة المرحلة الثانوية الكثير من الافكار والتي من المهم ان تكون في سياق صحيح ومصدر واضح جلي عندما يتم الإعتناء من المسؤولين والمعلمين للتعليم

بطرق التعامل المرن البناء الذي يستثير ويستثمر أفكار الطلبة بطريقة الذكاء الاجتماعي التفاعلي، وليس كما هو معمول في بعض المدارس والتي (حمد، فخري، ٢٠١٧).

إننا نعيش اليوم في وقت يتطلب المزج بين الفكر والمعلومة والأسلوب والمهارات وكيف يمتلك الطالب مهارة التعامل مع المعلومة وتحليلها ونقدها وتقويمها وربطها بمحصوله المعرفي وما يملكه من قدرات تقوده إلى عالم الثراء الفكري وتشكيل حصانه ضد الأفكار المشبوهة وتوجيه الطالب نحو الإبداع في مختلف نواحي الحياة (السليمان، ٢٠١٧)

المتعلم هو محور العملية التعليمية ودوره نشط ويجب أن يتعامل مع مواقف التفاعل الاجتماعي واكتساب مهارات الذكاء التفاعلي وأساليب الحوار مع الآخر وتقبل الآراء المختلفة والتعامل معها بأفكار ناقدة منتجة للمعرفة غير متلقية ولا مستهلكة مما يحقق مستوى من الأمن الفكري يبعده عن التطرف حيث يرتبط التطرف والتعصب بالتصلب في الرأي والتقليد الأعمى ومن هنا جاءت فكرة إجراء الدراسة الحالية التي تتناول الذكاء التفاعلي والمعتقدات المعرفية وعلاقتهما بالأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية.